المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القُرْآن الكَرِيم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

دور ابن قيم الجوزية في تعميق تعظيم الله تعالى

اسم الباحث

د/ حمود محمد حمود ردمان

د. حمود محمّد حمود ردمان

دور ابن قيم الجوزية
في تعميق تعظيم الله تعالى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه الغُرِّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين،،

أمّا بعد؛ فإن الأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلىٰ مراجعة صادقة، تفتش عن مواضع الخلل، ومكامن الضعف، فتضمد جراحها، وتلملم شتاتها، وتصحو من سباتها.

إن شباب الأمة اليوم غارقون في الوحل، مفتنون بزيف الحضارة الغربية، تاركوا سبل العلم، متنكرون للأخلاق الحميدة التي دعا إليها دينهم الحنيف.

فما أحوجنا إلىٰ أن نلتفت إلىٰ قلوبنا فنعمرها بالإيمان، ونسقيها بالقرآن، ونملؤها بما ينفعها من أعمال القلوب كالمحبة واليقين والخشوع والتعظيم والمراقبة والإخلاص، وغيرها من الأخلاق التي نفتقدها اليوم.

إن موضوع تعظيم الله من الموضوعات المهمة التي يجب علينا أن نتعرف عليها، وأن تُرَسَّخ في قلوبنا فنعالج بها هذا الانفصام الحادث عند بعض شبابنا، هذا الانفصام الذي سبَّبه عدم استشعار عظمة الله، وعدم مراقبته، فترىٰ بعضهم قد يحافظ علىٰ الصلاة في جماعة، وعلىٰ ورده من القرآن، ولكن قلبه خال من تعظيم الله، وجوارحه منتهكة لحرمات الله، ولا علاج لهذا الانفصام العجيب إلا بتعميق تعظيم الله في القلوب.

إن ترسيخ قيمة تعظيم الله عز وجل يعالج كثيرًا من مشكلات المجتمع الأمنية والاقتصادية والإدارية بأيسر السبل وأقل التكاليف والأعباء علىٰ الدولة، وكذلك فإن ترسيخ قيمة تعظيم الله في النفوس تعالج كثيرًا من المشكلات الاجتماعية كعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم[1].

ومن أجل هذا الغرض عزمت -مستعينًا بالله- علىٰ المشاركة في المؤتمر القرآني العالمي الثاني: **"تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم"**، الذي تنظمه جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرىٰ. ولما كان لابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)[2] مكانة علمية معروفة، وتراثٌ مليءٌ بالدرر والجواهر، انعقد العزم لدي للبحث عن

(١) تعظيم الله جل جلاله "تأملات وقصائد"، د. أحمد بن عثمان (ص: ١٣).

(٢) هو: الإمام الحجة الثقة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ولد سنة (٦٩١هـ)، وابن قيم الجوزية نسبة إلىٰ أبيه، حيث كان قَيِّمًا للمدرسة =

دوره في تعميق تعظيم الله تعالىٰ، وابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ- لم يفرد لهذا الموضوع فصلًا في أي من كتبه، سوىٰ ما تناوله في (مدارج السالكين) بصورة مختصرة لا تفي بالغرض، لكن له أقوال كثيرة متناثرة في كتبه في هذا المجال، فجمعتها ونسقتها في هذا البحث بعنوان: **"دور ابن قيم الجوزية في تعميق تعظيم الله تعالىٰ"**، ذكرت فيه مفهوم التعظيم، وعلامات التعظيم، والوسائل التي تعين علىٰ تعظيم الله، والآثار المترتبة علىٰ تعظيم الله عند ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه يبرز دور أحد العلماء البارزين في تعميق تعظيم الله في القلوب، وأحسب أن أحدًا من الباحثين لم يتطرق إلىٰ هذا الموضوع علىٰ نحو هذا العرض.

أهداف البحث:

تتلخص أهداف هذا البحث فيما يأتي:

١- جمع أقوال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ المتناثرة في كتبه عن تعظيم الله، وتكوين موضوع متكامل يوضح مفهوم التعظيم وعلاماته ووسائله وآثاره عند ابن القيم.
٢- بيان دور ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الملحوظ في ترسيخ تعظيم الله في القلوب.
٣- الإسهام في توعية الأمة، وتثقيف الشباب عن هذا الموضوع المهم، وما له من أثر بالغ علىٰ مستوىٰ الفرد والمجتمع.

الدّراسات السابقة:

هناك دراسات كثيرة تناولت شخصية الإمام ابن القيم، ومن جوانب عديدة، ومجالات متنوعة، ولكن لم يتطرق أحد من الباحثين -حسب علمي- لهذا الموضوع عند ابن القيم.

الجوزية، التي أسسها الإمام ابن الجوزي المتوفىٰ سنة (٦٥٦هـ)، وقد نشأ ابن القيم في بيئة علمية، وطلب العلم وجدَّ في تحصيله، وتتلمذ علىٰ عدة علماء من أبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وبرع ابن القيم في عدة علوم كالفقه والأصول والتفسير والنحو، وكان عالمًا بعلم السلوك وكلام أهل التصوف، وقد ألف كتبًا كثيرة متنوعة تزيد علىٰ مائة كتاب، توفي -رحمه الله تعالىٰ- سنة (٧٥١هـ).
تنظر ترجمته في: الدرر، لابن حجر (٣/ ٤٠٠-٤٠٣)، بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٦٢، ٦٣)، البدر الطالع، للشوكاني (٢/ ١٤٣- ١٤٦).

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي، وذلك بجمع أقوال ابن القيم عن تعظيم الله المتناثرة في كتبه، وترتيبها في مطالب يتضح من خلالها دور ابن القيم في هذا المجال، ويعطي فكرة متكاملة عن مفهوم تعظيم الله عنده.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من:

المقدمة: وقد تضمنت أهمية البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه.

المطلب الأول: مفهوم تعظيم الله عند ابن القيم.

المطلب الثاني: علامات تعظيم الله عند ابن القيم.

المطلب الثالث: وسائل تعظيم الله عند ابن القيم.

المطلب الرابع: الآثار المترتبة علىٰ تعظيما لله عند ابن القيم

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث وأبرز نتائجه.

ثم فهرس المصادر والمراجع وفهرس المحتويات.

المطلب الأول: مفهوم تعظيم الله عند ابن القيم

التعظيم في اللغة: مصدر للفعل (عظَّم)، و«العِظَم: مصدر الشيء العظيم، عظُم الشيء عِظَمًا فهو عظيم ... وعظَّمه يُعَظِّمه تعظيمًا، أي: كَبَّره»[١]، و«العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل علىٰ كِبَر وقوة، فالعِظَم: مصدر الشيء العظيم، تقول: عَظُم يَعْظُم عِظَمًا، وعظَّمته أنا. فإذا عظُم في عينيك قلت: أعظمته واستعظمته»[٢]، و«وأعظمه واستعظمه: رآه عظيمًا»[٣]، فالتعظيم في اللغة يعني: التكبير والتفخيم والإجلال.

وتعظيم الله تعالىٰ لا ينفك عن معرفة الله عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد ذكر ابن القيم حقيقة التعظيم في "مدارج السالكين"، وجعلها من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]، حيث قال: «وهذه المنزلة تابعة للمعرفة. فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالىٰ في القلب، وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ الله تعالىٰ من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته. ولا وصفه حق صفته، فقال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظِّمون الله حق عظمته؟»[٤].

وقد ذكر ابن القيم تعريف الإمام الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٤٨١ هـ) للتعظيم بأنه «معرفة العظمة، مع التذلل لها»[٥].

ولم يعلق عليه، مما يعني أنه ارتضاه، وبهذا يكون للتعظيم عنده ركنان أساسيان هما المعرفة والخضوع، بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولما تطرق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذكر درجات المراقبة، نقل عن الهروي أنها: «علىٰ ثلاث درجات. الدرجة الأولىٰ: مراقبة الحق تعالىٰ في السير إليه علىٰ الدوام، بين تعظيم مذهل، ومداناة حاملة. وسرور باعث»[٦].

---

(١) كتاب العين، للخليل (عظم ٢/ ٩١).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (عظم ٤/ ٣٥٥).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (عظم ١٢/ ٤١٠).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٤/ ٢٧٠٩).

(٥) منازل السائرين، للهروي (ص: ٨١).

(٦) منازل السائرين، للهروي (ص: ٨١).

ثم فسّر "التعظيم المذهل" بأنه: «امتلاء القلب من عظمة الله عز وجل، بحيث يذهله ذلك عن تعظيم غيره، وعن الالتفات إليه»(١).

وبهذا يتضح مفهوم التعظيم عند ابن القيم بأنه امتلاء القلب بعظمة الله المرتكزة علىٰ معرفة الله حق المعرفة، وعلىٰ حسن التذلل والخضوع له.

المحبة لا تنفك عن التعظيم:

هكذا يرىٰ ابن القيم الارتباط الوثيق بين المحبة والتعظيم، فمن أحب الله فقد عظَّمه، «فالمحبة لا تنفك عن تعظيم وإجلال للمحبوب ... فمحبة العبد لربه تستلزم إجلاله وتعظيمه وكذلك محبة الرسول تستلزم توقيره وتعزيزه وإجلاله»(٢).

وقال أيضًا مؤكِّدًا علىٰ اقتران المحبة بالتعظيم، وأن كمال المحبة لابد أن تقترن بالتعظيم والهيبة: «فالمحبة بِلَا هَيْبَة وَلَا تَعْظِيم نَاقِصَة، والهيبة والتعظيم من غير محبَّة -كَمَا تكون للغادر الظَّالِم- نقص أَيْضًا، والكمال أَن تَجْتَمِع الْمحبَّة والود والتعظيم والإجلال وَهَذَا لَا يُوجد إِلَّا إِذا كَانَ فِي المحبوب صِفَات الْكَمَال الَّتِي يسْتَحق أَن يعظم لأَجلهَا وَيُحب لأَجلهَا، وَلما كَانَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَحَق بِهَذَا من كل أحد كَانَ الْمُسْتَحق لِأَن يُعَظَّم وَيُكبر ويُهاب وَيُحب وَيَوَد بِكُل جُزْء من أَجزَاء الْقلب وَلَا يَجْعَل لَهُ شريك فِي ذَلِك»(٣).

ويؤكِّد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا علىٰ العلاقة بين محبة الله وتعظيمه، فيذكر أن التعظيم أثر من آثار المحبة، فعندما ذكر تعريف المحبة بأنها: «وجود تعظيم فى القلب يمنع الانقياد لغير المحبوب»، ذكر أن «هذا التعظيم المانع من الانقياد لغير المحبوب هو أثر من آثار المحبة وموجب من موجباتها، لا أنه نفس المحبة. فإن المحبة إذا كانت صادقة أَوجبت للمحب تعظيمًا لمحبوبه يمنعه من انقياده إلىٰ غيره، وليس مجرد التعظيم هو المانع له من الانقياد إلىٰ غيره بل التعظيم المقارن للحب هو الذي يمنع من الانقياد إلىٰ غير المحبوب فإن التعظيم إذا

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١٤٩٣).

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٩٤).

(٣) جلاء الأفهام، لابن القيم (ص: ١٨٥، ١٨٦).

كان مجردًا عن الحب لم يمنع انقياد القلب إلىٰ غير المعظم. وكذلك إذا كان الحب خاليًا عن التعظيم لم يمنع المحب أن ينقاد إلىٰ غير محبوبه فإذا اقترن الحب بالتعظيم وامتلأ القلب بهما، امتنع انقياده إلىٰ غير المحبوب»[١].

وذكر أن الشرك الذي لا يغفره الله: «هو أن يشرك به في الحب والتعظيم، فيحب غيره ويعظم من المخلوقات غيره كما يحب الله تعالىٰ ويعظمه»[٢].

وذكر أيضًا أن التعظيم والمحبة روح العبادة «فإذا خُلِّيَ أحدهما عن الآخر فسدت العبودية»[٣].

تعظيم الرسول ﷺ تعظيم لله تعالى ومحبته محبة لله تعالى:

وقرن ابن القيم أيضًا بين تعظيم الرسول وتعظيم الله، موضحًا أن تعظيم المسلم لنبيه ﷺ تابعة لتعظيم الله، قال ابن القيم: «فإن تعظيم الرسول ﷺ وإجلاله ومحبته وطاعته تابع لتعظيم مرسله سبحانه وإجلاله ومحبته وطاعته، فمحال أن تثبت المحبة والطاعة والتعظيم والإجلال للرسول ﷺ دون مُرسِلِه، بل إنما يثبت ذلك له تبعًا لمحبة الله وتعظيمه وإجلاله ولهذا كانت طاعة الرسول طاعة لله،... فكيف يقال تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه وهي ثناء وتعظيم كما تقدم، ولا يجب الثناء والتعظيم للخالق سبحانه وتعالىٰ كلما ذكر اسمه، هذا محال من القوم»[٤].

وبهذا يتضح أن ابن القيم يرىٰ أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين تعظيم الله ومعرفته والتذلل له، وبين تعظيم الله ومحبته، وبين تعظيم الله وتعظيم نبيه ﷺ.

بعض الصور التي تتنافى مع تعظيم الله عند ابن القيم:

ذكر ابن القيم بعض أقوال السلف في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]، ثم قال: «وهذه الأقوال ترجع إلىٰ معنىٰ واحد وهو: أنهم لو عظموا الله وعرفوا حق عظمته

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، (ص: ٢٩٥).

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم، (ص: ٤٤٨، ٤٤٩).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٤/ ٢٧١٠).

(٤) جلاء الأفهام، لابن القيم (ص: ٣٩٥، ٣٩٦).

وَحَّدُوه وأطاعوه وشكروه: فطاعته –سبحانه– اجتناب معاصيه، والحياء منه بحسب وقاره في القلب»[١]. ثم ذكر بعد ذلك بعض الأشياء التي تتنافىٰ مع تعظيم الله فقال: «قال بعض السلف ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عند ما يستحي من ذكره فيقرن اسمه به كما تقول قبح الله الكلب والخنزير والنتن ونحو ذلك، فهذا من وقار الله. ومن وقاره أن لا تعدل به شيئًا من خلقه لا في اللفظ بحيث تقول: والله وحياتك، مالي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت، ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله بل أعظم كما عليه أكثر الظلمة والفجرة، ولا في الخوف والرجاء ويجعله أهون الناظرين إليه، ولا يستهين بحقه ويقول هو مبني علىٰ المسامحة، ولا يجعله علىٰ الفَضْلة ويقدم حق المخلوق عليه، ... ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولُبَّه ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه، ولا يجعل مراد نفسه مقدمًا علىٰ مراد ربه، فهذا كله من عدم وقار الله في القلب »[٢].

كل هذه الصور ونحوها تتنافىٰ مع تعظيم الله، ولهذا يجب علىٰ المسلم أن يبتعد عنها، حتىٰ يكون معظمًا لربه بحق وحقيقة.

درجات التعظيم عند ابن القيم:

نقل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ درجات التعظيم، التي لا بد أن يتدرج فيها، وبها يتضح مدىٰ تعظيم الإنسان لربه، وتتبين نسبة التعظيم في قلبه، وهل هو ممن يعظم الله بحق أو لا؟، وهذه الدرجات هي:

الدرجة الأولى: تعظيم الأمر والنهي:

وهذه الدرجة تتضمن تعظيم الحكم الشرعي، وقد ذكر ابن القيم أن «أول مراتب تعظيم الحق عز وجل تعظيمُ أمره ونهيه ... وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالىٰ ونهيه دالًّا علىٰ تعظيمه لصاحب الأمر والنهي»[٣]. ثم ذكر ابن القيم ثلاثة أشياء تنافي تعظيم الأمر والنهي، موضحًا أن الغلو وتجاوز

---

(٥) الفوائد، لابن القيم (ص: ١٨٧، ١٨٨).

(٦) الفوائد، لابن القيم (ص: ١٨٧، ١٨٨).

(٧) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (ص: ١٠).

الحد ليس من التعظيم في شيء كما قد يعتقد بعض الناس، بل هو مما ينافي التعظيم، وهذه الأشياء هي:

الأول: الترخص الذي يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال.

الثاني: الغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي، وذلك: «كمن يتوسوس في الوضوء متغاليًا فيه حتىٰ يفوت الوقت، أو يردد تكبيرة الإحرام إلىٰ أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة أو يكاد تفوته الركعة»[(١)].

الثالث: ألا يحمل الأمر والنهي علىٰ علة تُوْهِنُ الانقياد[(٢)]، فلا يتأول في الأمر والنهي علة تعود عليهما بالإبطال، كما تأول بعضهم تحريم الخمر بأنه معلل بإيقاع العداوة والبغضاء، والتعرض للفساد. فإذا أمن من هذا المحذور منه جاز شربه[(٣)]، أو كمن «يعلل الحكم بعلة ضعيفة، لم تكن هي الباعثة عليه في نفس الأمر، فيضعف انقياد العبد إذا قام عنده أن هذه هي علة الحكم. ولهذا كانت طريقة القوم عدم التعرض لعلل التكاليف خشية هذا المحذور»[(٤)].

وتجدر الإشارة هنا إلىٰ أن ابن القيم أيضًا قد جعل لتعظيم حرمات الله منزلة أخرىٰ من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]، موضحًا أن الحرمات كل ما يجب احترامه، وحفظه من الحقوق، والأشخاص، والأزمنة، والأماكن، فتعظيمها توفيتها حقها، وحفظها من الإضاعة، وذكر أن أول درجات هذه المنزلة: تعظيم الأمر والنهي[(٥)].

الدرجة الثانية: تعظيم الحكم الكوني القدري:

وضّح ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الدرجة تتضمن تعظيم الحكم الكوني القدري، وذكر من تعظيمه ثلاثة أشياء:

الأول: أن يعتقد أنه صادر عن عين الحكمة.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (ص: ١٦).

(٢) منازل السائرين، للهروي (ص: ٨١).

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٤/ ٢٧١١- ٢٧١٤).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٤/ ٢٧١٥، ٢٧١٦).

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١٥١١-١٥١٥).

الثاني: أن يعتقد ألا تناقض بين حكمه وقدره الكوني وبين الحكم الشرعي.

الثالث: ألا يكون ممن يعبد الله بالعِوَض، فإن هذا مناف للتعظيم[١]، و«النفوس العلية الزكية تعبده لأنه أهل أن يعبد، ويجل ويحب ويعظم. فهو لذاته مستحق للعبادة. قالوا: ولا يكون العبد كأجير السوء، إن أعطي أجره عمل، وإن لم يعط لم يعمل، فهذا عبد الأجرة لا عبد المحبة والإرادة»[٢].

الدرجة الثالثة: تعظيم الحق سبحانه

وهذه الدرجة تتضمن تعظيم الحاكم سبحانه، صاحب الخلق والأمر، ذكر من تعظيمه ثلاثة أشياء:

الأول: أن تعتقد أن الله هو من أوصلك إليه، فما دل علىٰ الله إلا الله، ولا هدىٰ إليه سواه، ولا أدنىٰ إليه غيره.

الثاني: ألا ترىٰ لأحد من الخلق حقًا علىٰ الله، بل الحق لله علىٰ خلقه، وأما حقوق العبيد علىٰ الله تعالىٰ: من إثابته لمطيعهم، وتوبته علىٰ تائبهم، وإجابتهم لسائلهم: فتلك حقوق أحقها الله سبحانه علىٰ نفسه، بحكم وعده وإحسانه لا أنها حقوق أحقوها هم عليه.

الثالث: ألا تنازع له اختيارًا، فإذا رأيت الله عز وجل قد اختار لك أو لغيرك شيئًا – إما بأمره ودينه، وإما بقضائه وقدره – فلا تنازع اختياره، بل ارض باختيار ما اختاره لك، فإن ذلك من تعظيمه سبحانه[٣].

فذكر أن أولىٰ الدرجات تبدأ بتعظيم الأمر والنهي، وترتقي إلىٰ تعظيم الآمر، وما تتضمنه هذه الدرجات أيضًا تبدأ بضبط سلوك العبد فلا يكون متساهلًا ولا متطرفًا غاليًا، وتمر بأن يستقر في القلب أن قضاء الله عين الحكمة، وتنتهي بالتسليم التام للخالق، فيعتقد أن الله تعالىٰ هو من هداه وأوصله، ولا يرىٰ لأحد حقًا عليه، ثم بعد ذلك يصل إلىٰ أعلىٰ المراتب في تعظيم الله، وهي أن يرضىٰ ويسلم تسليمًا تامًّا لربه.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٤/ ٢٧١٦-٢٧٢١).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١٥١٦).

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٤/ ٢٧٢١-٢٧٢٣).

المطلب الثاني: علامات تعظيم الله تعالى عند ابن القيم

هناك بعض العلامات التي تدل علىٰ تعظيم الله وتعظيم أمره ونهيه، جمعتها من أقوال ابن القيم، فمن ذلك:

العلامة الأولى: المسارعة في فعل الأوامر وفعلها على الشكل المطلوب:

لقد أنكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ من يقوم بالطاعات رئاء الناس، كما أنكر علىٰ من يجتنب المحرمات خشية السقوط من أعينهم، وذكر أن هذا مناف لتعظيم الأمر والنهي، ومناف أيضًا لتعظيم الآمر والناهي، قال ابن القيم: «فإن الرجل قد يتعاطىٰ فعل الأمر لنظر الخلق، وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع -جلا وعلا- علىٰ المناهي، فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي ولا تعظيم الآمر والناهي، فعلامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص علىٰ تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن علىٰ فوت الجماعة ويعلم أنه لو تقبلت منه صلاته منفردًا فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا»[(١)].

فإذا رأيت العبد مسارعًا في فعل الخيرات، محافظًا علىٰ الواجبات، فاعلًا لها علىٰ الشكل المطلوب وفي وقتها، فإن هذا دليل علىٰ تعظيمه لأوامر سيده ومولاه، وهو في الوقت نفسه دليل علىٰ تعظيم الآمر سبحانه وتعالىٰ.

العلامة الثانية: تعظيم الله في الخلوات:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن وقار الله أن يستحي من اطلاعه علىٰ سره وضميره فيرىٰ فيه ما يكره، ومن وقاره أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحي من أكابر الناس»[(٢)].

فإذا استوت عبادة العبد في السر والعلانية، وكانت مراقبته لله وخوفه منه في كل الأحوال، خاصة عندما يكون بعيدًا عن أعين الناس، فإن هذا من أعظم الأدلة علىٰ تعظيم الله، وقد رتب الله الخير الكثير والأجر العميم الكبير لمن يخشاه بالغيب، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [المُلك].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (ص: ١٠، ١١).

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص: ١٨٧، ١٨٨).

العلامة الثالثة: الحرص على البعد عن المنهيات:

ومن العلامات التي تدل علىٰ تعظيم الله أن يكون العبد حريصًا علىٰ الابتعاد عن كل ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه، وكل ما يقرب منها، أو يوصل إليها، بل إنه لا يسرف في المباحات خشية الوقوع في المكروهات، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما علامات تعظيم المناهي، فالحرص علىٰ التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأن يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروه، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو إليها ويتهاون بها ولا يبالي ما ركب منها، فإن مخالطة مثل هذا داعية إلىٰ سخط الله تعالىٰ وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالىٰ وحرماته»[١].

العلامة الرابعة: الغضب إذا انتهكت محارم الله:

جعل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الغضب عند انتهاك الحرمات، من علامات تعظيم النهي، ويلزم منه تعظيم الناهي سبحانه، قال: «ومن علامات تعظيم النهي أن يغضب الله عز وجل إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وكسرة إذا عصىٰ الله تعالىٰ في أرضه، ولم يضطلع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغير ذلك»[٢]. ولهذا كان النبي ﷺ خير من عظَّم ربه، لا يغضب لنفسه أبدًا بل يغضب إذا انتهكت محارم الله.

العلامة الخامسة: ألا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عز وجل:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هذه العلامة في المرتبة الثالثة من مراتب تعظيم الله الأمر والنهي، وذلك في (مدارج السالكين)[٣]، وجعلها في (الوابل الصيب) من علامات الأمر والنهي، حيث قال: «ومن علامات تعظيم الأمر والنهي أن لا يحمل الأمر علىٰ علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عز وجل، بل يسلم لأمر الله تعالىٰ وحكمه، ممتثلًا ما أمر به سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمله ذلك علىٰ مزيد الانقياد والتسليم»[٤].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (ص: ١٣).

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ٤/ ٢٧١١.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (ص: ١٧).

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (ص: ١٧).

وهذا يعني أن هناك بعض العبادات قد لا تظهر لنا حكمتها، فالمعظم لله يقوم بما أُمِر، ولا ينشغل بالبحث عن العلل والحِكَم، ولهذا امتدح الله المؤمنين بأنهم قالوا سمعنا وأطعنا، قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة]، وذمّ الله اليهودَ حينما سمعنا وعصينا، قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ [النساء: ٤٦].

العلامة السادسة: عدم الاسترسال مع الرخص:

لا شك أن الله يحب أن تؤتىٰ رخصه كما يحب أن تؤتىٰ عزائمه، لكن المعظم لربه لا يسترسل مع الرخص حتىٰ يتجاوز حد الاعتدال، وقد جعل ابن القيم عدم الاسترسال مع الرخص من علامات تعظيم الأمر والنهي فقال: «ومن علامات تعظيم الأمر والنهي أن لا يسترسل مع الرخصة إلىٰ حد يكون صاحبه جافيًا غير مستقيم علىٰ المنهج الوسط، مثال ذلك أن السُّنَّة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر فالترخص الجافي أن يبرد إلىٰ فوات الوقت أو مقاربة خروجه فيكون مترخصًا جافيًا، وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور ويفعل العبادة بتكره وضجر، فمن حكمة الشارع صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أمرهم بتأخيرها حتىٰ ينكسر الحر فيصلي العبد بقلب حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال علىٰ الله تعالىٰ»[(١)].

العلامة السابعة: عدم تعظيم ما ليس من شعائر هذا الدين:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشياء كثيرة تتنافىٰ مع تعظيم الله[(٢)]، حيث لا يجتمع تعظيم الله مع تعظيم مثل هذه الأشياء التي نهىٰ الله ورسوله عنها، وإذا كان العبد لا يعظم سوىٰ ما عظمه الله ورسوله، فهو دليل علىٰ أنه ممن يجل الله ويعظمه، أما إذا كان يعظم أشياء ذمها الشارع، أو يعظم ما أمرنا الله بتركه والابتعاد عنه فإنه دليل علىٰ أنه لم يقدر الله حق قدره. ومثال ذلك ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنسبب عبادة ودٍّ ويغوثَ ويعوق ونَسْرًا واللات إنما كانت من تعظيم قبورهم، ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها، كما أشار إليه النبىٰ صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم»[(٣)].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (ص: ١٣).

(٢) ينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (١/ ١٩٥).

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (١/ ١٨٤).

ونقل عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «أكره أن يُعظَّم مخلوق حتىٰ يُجعَل قبرُه مسجدًا، مخافة الفتنة عليه وعلىٰ من بَعْده من الناس»[١].

وفي تعظيم شعائر الدين دلالة علىٰ امتلاء القلب بتقوىٰ الله وتعظيمه، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

العلامة الثامنة: الحلف والنذر لله وحده:

بيَّن ابن القيم أن الأيمان والنذور عندما تكون لله وحده فإنه من علامات تعظيم الله: « وأما الأيمان والنذور، فعقود يَعقِدُها العبد علىٰ نفسه، يؤكد بها ما ألزمه نفسه من الأمور بالله ولله، فهي تعظيم للخالق ولأسمائه ولحقِّه، وأن تكون العقود به وله، وهذا غاية التعظيم، فلا يعقد بغير اسمه، ولا لغير القرب إليه، بل إن حلف فباسمه تعظيمًا وتوحيدًا وإجلالًا، وإن نذر فله توحيدًا وطاعة ومحبة وعبودية، فيكون هو المعبود وحده والمستعان به وحده»[٢].

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (١/ ١٨٩).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم (٢/ ٨٧١).

المطلب الثالث: وسائل تعظيم الله عند ابن القيم

هناك بعض الوسائل التي تعين العبد علىٰ تعميق تعظيم الله في قلبه، جمعتها من أقوال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ المتناثرة في كتبه، من أهمِّها ما يأتي:

الوسيلة الأولى: التوحيد من أهم الوسائل التي ترسخ تعظيم الله في القلوب:

حرص ابن القيم علىٰ مسألة توحيد الله والبعد عن كل أنواع الشرك، فالتوحيد عند ابن القيم معيار أساسي، ووسيلة مهمة يقوي تعظيم الله في القلوب ويعمقه، فكلما كان العبد علىٰ العقيدة الصحيحة والسنة وترك البدعة كلما ازداد عنده تعظيم الله وتمكن في قلبه، وكلما ابتعد العبد عن هذا الطريق أو انحرف أو مال عنه ضعف تعظيم الله وضعف معه المحبة والإجلال والخضوع وغيرها من أفعال القلوب، وقد ذكر ابن القيم أقوالًا كثيرة تبين أهمية التوحيد في تعميق تعظيم الله في القلوب، وما له من أثر في ذلك ، والشواهد علىٰ ذلك كثيرة، فمن ذلك:

- أن الشرك والتعظيم ضدان، لا يجتمعان معًا إطلاقًا، «فلا تجد مشركًا قط إلا وهو متنقص لله سبحانه، وإن زعم أنه يعظمه بذلك»[(١)].
- ومن ذلك تصريحه بأن التوحيد هو حقيقة التعظيم وأساسه، قال: «فالتوحيد ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، وحقيقته إفراد الرب سبحانه بالمحبة والإجلال التعظيم، والذل والخضوع»[(٢)].
- وذكر أن الشرك والمعصية وما يلحق بهما تتنافىٰ مع تعظيم الله تعالىٰ، حيث قال: «ومن المعلوم عقلًا وشرعًا وفطرة أن الله تعالىٰ يستحق علىٰ عبده غاية التعظيم والإجلال والعبودية التي تصل إليها قدرته، وكل ما ينافي التعظيم والإجلال يستحق عليه من العقوبة ما يناسبه، والشرك والمعصية والغفلة واتباع الهوىٰ وترك بذل الجهد والنصيحة في القيام بحق الله باطنًا وظاهرًا، وتعلق القلب بغيره، والتفاته إلىٰ ما سواه، ومنازعة ما هو من خصائص ربوبيته، ... كل ذلك ينافي التعظيم والإجلال»[(٣)].
- ومن ذلك ما ذكره من ضعف الآلهة التي يعبدونها من دون الله تعالىٰ وأنها لا تقدر علىٰ

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (٢/ ٦٢).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (٢/ ١٣٥).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن الموصلي (٢/ ٦١٣، ٦١٤).

شيء، وأن «من جعل هذا الآلهة مع القوي العزيز، فما قدره حق قدره ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق عظمته»[١]

وممّا يؤكِّد أهمية التوحيد في تعميق تعظيم الله أن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج]، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]= وردت ثلاث مرّات كلّها في سياق التوحيد وذمّ الشرك، ممّا يدلّ دلالة واضحة علىٰ أهمية التوحيد، وأنّه أهم الوسائل التي ترسِّخ عظمة الله في القلوب[٢]، وقد ذكر ابن القيم نماذج كثيرة من المعتقدات الضالة التي تتنافىٰ مع تعظيم الله تعالىٰ [٣]، قال: «فكيف يقدره حق قدره من أنكر أن يكون له يدان، فضلًا عن أن يقبض بهما شيئًا فلا يد عند المعطلة، ولا قبض في الحقيقة، وإنما ذلك مجاز لا حقيقة له، وللجهمية والمعطِّلة نفاة الصفات من هذا الذم أوفر نصيب وللمتفلسفة وأفراخهم وأتباعهم ذنوب مثل ذنوب أصحابهم وأكثر»[٤].

الوسيلة الثانية: البعد عن المعاصي التي تضعف تعظيم الله:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن من عقوبات الذنوب إضعاف عظمة الله في القلوب، قال: «ومن عقوبات الذنوب: أنها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد، شاء أم أبىٰ، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ علىٰ معاصيه، والمتجرئون علىٰ معاصيه ما قدروا الله حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه ويكبره، ويرجو وقاره ويجله، من يهون عليه أمره ونهيه؟ هذا من أمحل المحال، وأبين الباطل، وكفىٰ بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله، وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه»[٥].

وقال: «وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه أمره فعصاه، ونهيه فارتكبه، وحقه فضيعه، وذكره فأهمله، وغفل قلبه عنه، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه، وطاعة المخلوق أهم من طاعته»[٦].

---

(١) الأمثال في القرآن، لابن القيمص (٢٥٠).

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم (٤/ ١٣٥٨، ١٣٥٩).

(٣) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص: ٣٢٣-٣٢٥).

(٤) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم (٤/ ١٣٦٣، ١٣٦٤).

(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص: ١٧٠، ١٧١).

(١) ا الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص: ٣٢٦، ٣٢٧).

الوسيلة الثالثة: الصلاة:

من أهم الوسائل التي ذكرها ابن القيم لتعميق تعظيم الله في القلوب الصلاة، فالصلاة قائمة علىٰ التعظيم لله في كل ما اشتملت عليه من أقوال وأفعال، فقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن حكمة افتتاح الصلاة بالتكبير أنّ المصلِّي لمّا كان «قد تخلّىٰ عن الشواغل، وقطع جميع العلائق، وتطهّر، وأخذ زينته، وتهيأ للدّخول علىٰ الله تعالىٰ، ومناجاته= شرع له أن يدخل عليه دخول العبيد علىٰ الملوك، فيدخل بالتعظيم والإجلال، فشرع له أبلغ لفظ يدلّ علىٰ هذا المعنىٰ، وهو قول: الله أكبر»[(١)].

وقال أيضًا موضِّحًا سرّ افتتاح الصّلاة بالتّكبير: «ثم كبَّره بالتعظيم والإجلال، وواطأ قلبه لسانه في التّكبير، فكان اللهُ أكبرَ في قلبه من كلِّ شيء، وصدَّق هذا التّكبير بأنّه لم يكن في قلبه شيءٌ أكبرَ من الله تعالىٰ يشغله عنه، فإنّه إذا كان في قلبه شيءٌ يشتغل به عن الله= دلّ علىٰ أنّ ذلك الشّيء أكبر عنده من الله»[(٢)].

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الرّكوع والسّجود حَالَا ذُلٍّ وخضوعٍ وانخفاضٍ، فلهذا نُهي عن قراءة القرآن فيهما، و«شُرِع فيهما من الذِّكر ما يناسب هيئتهما، فشُرِع للرّاكع أن يذكر عظمة ربّه في حال انخفاضه هو، وتطامنه وخضوعه، وأنّه سبحانه يوصف بوصف عظمته عمّا يضادّ كبرياءَه وجلالَه وعظمتَه، فأفضل ما يقول الرّاكع علىٰ الإطلاق: سبحان ربِّي العظيم، فإنّ الله سبحانه أمر العبادَ بذلك، وعَيَّن المبلِّغ عنه السفير بينه وبين عباده هذا المحلَّ لهذا الذِّكر لمّا نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة]، ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة]، ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة]= قال صلّىٰ الله عليه وسلم: اِجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُم[(٣)]»[(٤)].

وقال مبيِّنًا ما للصّلاة وخاصّة الرّكوع من أهمية في تعظيم الله وترسيخه في القلوب، وأنّ التّعظيم إذا رسخ في القلب خرج منه كلّ تعظيم لمن سواه: «ثمّ شرع له بأن يخضع للمعبود

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ١٩٥، ١٩٦).

(٢) أسرار الصلاة، لابن القيم (ص: ٣٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، في أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب التسبيح في الركوع والسجود، (رقم: ٨٨٧، ٢/ ٥٧). والحديث إسناده حسن، كما قال محقِّق الكتاب الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٤) الصلاة وأحكام تاركها، لابن القيم (ص: ١١٥).

سبحانه بالرّكوع خضوعًا لعظمة ربه، واستكانة لهيبته و تذلُّلًا لعزته، فثناء العبد علىٰ ربّه في هذا الرّكن؛ هو أن يحني له صُلْبَه، ويضع له قامته، ويُنكِّس له رأسَه، ويحني له ظهرَه، و يُكَبِّره مُعظِّمًا له ، ناطقًا بتسبيحه المقترن بتعظيمه ... وتمام عبودية الرّكوع أن يتصاغر الرّاكع، ويتضاءل لربّه ، بحيثُ يمحو تصاغره لربِّه من قلبه كلَّ تعظيم فيه لنفسه ولخلقه، و يثبت مكانه تعظيمَه ربَّه وحده لا شريك له، وكلّما استولىٰ علىٰ قلبه تعظيمُ الربِّ، و قوي= خرج منه تعظيمُ الخلق، و ازداد تصاغره هو عند نفسه، فالرّكوع للقلب بالذّات والقصد والجوارح بالتّبع والتّكملة»[(١)].

وعن رفع اليدين وما لهما من دور في تعظيم الله يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الشَّافعيُّ وقد سُئل عن معنىٰ رفع اليدين في الصّلاة، فقال: هو تعظيمٌ لأمر الله، وزينةٌ للصلاة واتباعٌ للسُّنَّة، وقال ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: معنىٰ رفع اليدين في الافتتاح وغيره: خضوعٌ واستكانةٌ وابتهالٌ وتعظيمٌ لله عزّ وجلّ، واتباعٌ لسُنَّة رسول الله ﷺ»[(٢)].

فالمحافظة علىٰ الصَّلاة في وقتها، وإقامتها بأركانها وواجباتها وسننها، مع الطمأنينة والخشوع فيها من أهم الوسائل التي تُعَمِّق تعظيم الله تعالىٰ.

الوسيلة الرابعة: التسليم التام لشرع الله، وتعظيم الأوامر والنواهي:

ذكر ابن القيم أنّ تعظيم الله مرتبط بتعظيم أمره ونهيه، وأن هذا لا يتم إلا بالتسليم التام لشرعه، والانقياد له، دون الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي، «ولهذا كانت هذه الأمّة التي هي أكمل الأمم عقولًا ومعارف وعلومًا لا تسأل نبيَّها لِمَ أمر الله بذلك؟ ولِمَ نهىٰ عن كذا؟ ولِمَ قدّر كذا؟ ولِمَ فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأنّ قدمَ الإسلام لا تثبت إلَّا علىٰ درجة التَّسليم، وذلك يوجب تعظيم الرَّبِّ تعالىٰ وأمره ونهيه، فلا يتم الإيمانُ إلَّا بتعظيمه، ولا يتم تعظيمُه إلَّا بتعظيم أمره ونهيه، فعلىٰ قدر تعظيم العبدِ لله سبحانّه يكون تعظيمُه لأمره ونهيه، وتعظيمُ الأمر دليلٌ علىٰ تعظيم الآمر»[(٣)].

---

(١) أسرار الصلاة، لابن القيم (ص: ٥٤-٥٦).

(٢) رفع اليدين في الصلاة، لابن القيم (١/ ١٣٤، ١٣٥).

(٣) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم (٤/ ١٥٦١).

الوسيلة الخامسة: قول: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته:

ذكر ابن القيم أن هذا يُسمّىٰ الذِّكر المضاعف، وأنّه يفضل علىٰ مجرد الذِّكر بـ (سبحان الله) أضعافًا مضاعفة، وأنّ ما يقوم بقلب الذّاكر حين يقول (سبحان الله وبحمده عدد خلقه ...) من معرفته وتنزيهه وتعظيمه من هذا القدر المذكور من العدد= أعظم ممّا يقوم بقلب القائل سبحان الله فقط[١].

الوسيلة السادسة: تدبر معاني أسماء الله تعالى الحسنى:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن نتدبر معاني أسماء الله، والدعاء بها يساعد في تعميق تعظيم الله، فقال مثلًا عن معنىٰ اسم الله (الجبار): «فالجبّار اسمٌ من أسماء التّعظيم كالمتكبِّر والملك والعظيم والقهّار، قال ابن عبَّاس في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]هو العظيم، وجبروتُ اللهِ عظمتُه»[٢].

وقال عن اختيار اسمي (العظيم، والأعلىٰ) في أذكار الرُّكوع والسُّجود أيضًا: «وقد شرع الله سبحانه لعباده ذكرَ هذين الاسمين العلي العظيم في الرُّكوع والسُّجود كما ثبت في (الصحيح) أنّه لمّا نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة]، ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة]، ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة]= قال النَّبيُّ ﷺ: «اِجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُم»، فلمَّا نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلىٰ]= قال: «اِجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُم»[٣]، وهو سبحانه كثيرًا ما يقرن في وصفه بين هذين الاسمين كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد] يثبت بذلك علوه علىٰ المخلوقات وعظمته، فالعلو رفعته، والعظمة عظمة قدره ذاتًا ووصفًا"[٤]، كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ من نفىٰ حقائق أسماء الله الحسنىٰ وصفاته= لم يقدر الله حقّ قدره[٥].

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم (ص: ٣٤- ٣٦).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم (ص: ١٢١).

(٣) سبق تخريج هذا الحديث في الصفحة السابقة.

(٤) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم (٤/ ١٣٦٤، ١٣٦٥).

(٥) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص: ٣٢١، ٣٢٢).

ولمّا كان تعظيم الله مرتبطًا بمعرفته، فإنّه سبحانه وتعالىٰ يُعْرَف من خلال أسمائه وصفاته، فمتىٰ ما تدبر العبد معاني أسماء الله الحسنىٰ، خاّصة ما يتعلق منها بصفة العظمة= تولّد عنده تعظيم الله، واستقرّ في قلبه.

الوسيلة السابعة: الخشوع إشراق نور التعظيم:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن للخشوع دورًا مهمًّا في إشراق نور التعظيم في القلب، قال : «وقيل: الخشوع خمود نيران الشهوة، وسكون دخان الصدور، وإشراق نور التعظيم في القلب»[(١)]، ونقل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ الخشوع: «خمود النفس، وهُمُود الطِّباع لمتَعاظَم، أو مُفْزِع»[(٢)]، ثم وضَّح ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المعنىٰ مبيِّنًا أن الخشوع يكون علىٰ قدر التعظيم في القلوب، قال: «يعني انقباض النفس والطبع، وهو خمود قوىٰ النفس عن الانبساط لمن له في القلوب عظمة ومهابة، أو لما يفزع منه القلب، والحق أن الخشوع معنىٰ يلتئم من التعظيم، والمحبة، والذل والانكسار»[(٣)].

الوسيلة الثامنة: مراقبة الله والقرب منه:

ذكر الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ أن أول درجات المراقبة: «مراقبة الحق تعالىٰ في السير إليه علىٰ الدوام، بين تعظيم مذهل، ومداناة حاملة، وسرور باعث»[(٤)]، فجعل الدُّنو من الله وسيلة إلىٰ تعظيمه، ووضَّح ابن القيم كلام الهروي السّابق، مبيِّنًا أنّه كلّما قَرُبَ العبد من ربّه كلّما ازداد له تعظيمًا فقال: «وأمّا قوله: (ومداناة حاملة)، فيريد دُنوًّا وقُربًا حاملًا علىٰ هذه الأمور الخمسة. وهذا الدُّنو يحمله علىٰ التّعظيم الذي يذهله عن نفسه وعن غيره، فإنّه كلّما ازداد قُربًا من الحقّ ازداد له تعظيمًا، وذهولًا عن سواه، وبُعدًا عن الخلق»[(٥)].

الوسيلة التاسعة: التأمل في مخلوقات الله الدالة على عظمته:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ موضحًا ما للأقسام التي أقسم الله بها في القرآن من أهمية في ترسيخ تعظيم الله تعالىٰ «وكذلك قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ [الشمس]؛ لأنّ القسم تعظيم للمُقْسَم به

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١٣٢٣).

(٢) منازل السائرين، للهروي (ص: ٢٨).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١٣٢٥).

(٤) منازل السائرين، للهروي (ص: ٣٨، ٣٩).

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١٤٩٤).

واستحقاقه للتعظيم من حيث بنىٰ وأظهر هذا الخلق العظيم الذي هو السّماء، ومن حيثُ سوَّاها، وزيَّنها بحكمته، فاستحق التعظيم، وثبتت قدرته. فلو قال: (ومن بناها) لم يكن في اللّفظ دليلٌ علىٰ استحقاقه للقسم من حيثُ اقتدر علىٰ بنائها، ولكان المعنىٰ مقصورًا علىٰ ذاته ونفسه دون الإيماء إلىٰ أفعاله الدَّالَّة علىٰ عظمته، المنبئة عن حكمته، المفصحة باستحقاقه للتّعظيم من خليقته»[١].

فبيَّن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ التَّأمل في مخلوقات الله العجيبة من الوسائل المهمة لترسيخ عظمة الله في القلوب، فالتَّفَكُّر يورث التعظيم، وتركه يورث الغفلة، وقد أمر الله عبادَه في كثير من الآيات بالتَّفَكُّر في مخلوقاته، وبدائع مصنوعاته؛ لما لذلك من أهمية بالغة في تمكين عظمته في القلوب.

الوسيلة العاشرة: الإكثار من قول (يا ذا الجلال والإكرام):

ذكر ابن القيم أنّ «حَقِيقَة العِبادَة هي الحبُّ والذُّلُّ، وهذا هو الإجلال والإكرام الذي وصف به نَفسه في قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن]، وأصحّ القولين فِي ذلك أَنّ الجلال هو التعظيم، والإكرام هو الحبُّ، وهو سرُّ قول العبد (لَا إِلَه إِلَّا الله، وَالله أكبر)، ولهذا جاء في (مسند الإمام أحمد) من حَدِيث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قال: «أَلِظُّوا بيا ذَا الْجلَال وَالْإِكْرَام»[٢]، أَي: الزموها، والهجوا بها»[٣].

ممّا يعني: أنَّ الإكثار من الدُّعاء بهذين الاسمين لهما أثرٌ في تعميق تعظيم الله تعالىٰ في القلب، خصوصًا عندما يستشعر العبدُ معنىٰ هذين الاسمين الجليلين، كما أنَّ الإكثار من ذكر الله بشكل عام يساعد في ترسيخ تعظيم الله، ويدل دلالة واضحة علىٰ امتلاء القلب بعظمة الله؛ لأنه لا يكثر من الذكر إلا من عرف الله حق المعرفة، وعظمه حق التعظيم.

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ١٣٢).

(٢) الحديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في (مسنده) من حديث ربيعة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وليس من حديث أنس بن مالك كما ذكر ابن القيم. ينظر: مسند الإمام أحمد، حديث ربيعة بن عامر (رقم: ١٧٥٩٦، ٢٩/ ١٣٨)، وقال محقِّق الكتاب الشّيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح، ورجاله ثقات»، وأخرجه الترمذي في (سننه) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب الدّعوات، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد (رقم: ٣٥٢٥، ٥/ ٥٤٠).

(٣) جلاء الأفهام، لابن القيم (ص: ١٨٥ - ١٨٧).

المطلب الرابع: الآثار المترتبة على تعظيم الله تعالى عند ابن القيم

هناك بعض الآثار والثِّمار التي يجنيها العبدُ إذا عظَّم ربَّه حقَّ التّعظيم، وهذه الآثار جمعتها من أقوال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ المتناثرة في كتبه، وهي كما يأتي:

أولاً: عدم التجرؤ على محارم الله تعالى:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ من عقوبات المعاصي أنّها تضعف تعظيم الله في القلب، فيتجرَّأ العبد علىٰ معاصيه، ويستخفّ بنظر الله إليه، واطِّلاعه عليه، فيكون الله أهون الناظرين إليه، والعياذ بالله من ذلك، ومن ثَمَّ فإن من أهم الثمار التي يجنيها العبد عندما يستقر التعظيم في قلبه، ألَّا يتجرأ علىٰ محارم الله تعالىٰ ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن عقوبات الذنوب: أنها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد، شاء أم أبىٰ، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ علىٰ معاصيه، وربما اغتر المغتر، وقال: إنما يحملني علىٰ المعاصي حسن الرجاء، وطمعي في عفوه، لا ضعف عظمته في قلبي، وهذا من مغالطة النفس؛ فإن عظمة الله تعالىٰ وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون علىٰ معاصيه ما قدروا الله حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه ويكبره، ويرجو وقاره ويجله، من يهون عليه أمره ونهيه؟ هذا من أمحل المحال، وأبين الباطل، وكفىٰ بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله، وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه»[(١)].

ونقل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ تعريف الورع بأنه: «تَوَقٍّ مُسْتَقصًىٰ علىٰ حذرٍ، وتَحَرُّجٌ علىٰ تعظيم»[(٢)]، ثم ذكر ابن القيم: «أن الباعث علىٰ الورع عن المحارم والشُّبَه إمّا حذر حلول الوعيد، وإمّا تعظيم الرَّبِّ جلّ جلاله، وإجلالًا له أن يتعرّض لما نهىٰ عنه»[(٣)].

وبهذا يتضَّح جليًّا أنّ أهم ما يجنيه العبد من وجود التّعظيم في قلبه أن يبتعد عن محارم الله، وإذا ابتعد العبد عنها تحصَّل علىٰ خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص: ١٧٠، ١٧١).

(٢) منازل السائرين، للهروي (ص: ٣١).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١٣٨٩).

ثانيًا: صلاح الأمور الدنيوية والأخروية:

ذكر ابن القيم من عقوبات المعاصي أنها تستدعي نسيان الله تعالىٰ للعبد، وحرمانه التوفيق لما ينفعه في أمور دنياه وآخرته، ومن مفهوم المخالفة؛ فإن ترك المعاصي التي تجتنب برسوخ تعظيم الله في القلب تجلب للعبد صلاحًا وتوفيقًا في جميع أموره، فيكون هذا أيضًا من آثار تعظيم الله، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ موضِّحًا بعض عقوبات المعاصي: «ومن عقوباتها: أنها تستدعي نسيان الله لعبده، وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه، وهنالك الهلاك الذي لا يرجىٰ معه نجاة، قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر]، فأمر بتقواه ونهىٰ أن يتشبه عباده المؤمنون بمن نسيه بترك تقواه، وأخبر أنه عاقب من ترك التقوىٰ بأن أنساه نفسه، أي: أنساه مصالحها، وما ينجيها من عذابه، وما يوجب له الحياة الأبدية، وكمال لذتها وسرورها ونعيمها. فأنساه الله ذلك كلّه جزاءً لما نسيه من عظمته وخوفه، والقيام بأمره، فترىٰ العاصي مهملًا لمصالح نفسه مضيعًا لها، قد أغفل الله قلبه عن ذكره، واتبع هواه وكان أمره فرطًا، قد انفرطت عليه مصالح دنياه وآخرته»[1].

فأكَّد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ أنّ خلو القلب من تعظيم الله موجبٌ لنسيان الله للعبد، ونسيان الله له يعني الخسارة المحقَّقة، وعدم التوفيق في جميع الأمور.

ثالثًا: الوصول إلى درجة الإحسان:

إذا كانت المعاصي تخرج العبد عن دائرة الإحسان، بل عن دائرة الإيمان، فإن تركها الذي يعين عليه تعظيم الله يعني الوصول إلىٰ دائرة الإحسان، وهي أعلىٰ المراتب، وهذه ثمرة من ثمار تعظيم الله، قال ابن القيم موضِّحًا بعض عقوبات المعاصي: «ومن عقوباتها: أنها تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه من ثواب المحسنين، فإن الإحسان إذا باشر القلب منعه عن المعاصي، فإن من عبد الله كأنه يراه، لم يكن كذلك إلا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه علىٰ قلبه، بحيث يصير كأنه يشاهده، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلًا عن مواقعتها، فإذا خرج من دائرة الإحسان، فاته صحبة رفقته الخاصة، وعيشهم الهنيء، ونعيمهم التام»[2].

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص: ١٧٢-١٧٤).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص: ١٧٤، ١٧٥).

رابعًا: الرفعة بين الناس وعلو الشأن والمحبة والمهابة:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ من عقوبات المعاصي «أن يرفع الله عز وجل مهابته من قلوب الخلق، ويهون عليهم، ويستخفون به، كما هان عليه أمره واستخف به، فعلىٰ قدر محبة العبد لله يحبه الناس، وعلىٰ قدر خوفه من الله يخافه الخلق، وعلىٰ قدر تعظيمه لله وحرماته يعظمه الناس، وكيف ينتهك عبد حرمات الله، ويطمع ألَّا ينتهك الناس حرماته، أم كيف يهون عليه حقُّ الله ولا يهونه الله علىٰ الناس؟ أم كيف يستخفّ بمعاصي الله ولا يستخفّ به الخلق؟»[١]. وقال عن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، فإنهم لما هان عليهم السجود له واستخفوا به ولم يفعلوه أهانهم الله فلم يكن لهم من مكرم بعد أن أهانهم الله، ومن ذا يكرم من أهانه الله؟ أو يهن من أكرمه الله؟»[٢]. وهذا يدلّ علىٰ أنّ من الآثار الجليلة والثمار اليانعة التي يجنيها العبد من تمكين تعظيم الله في قلبه، أن يحصل علىٰ الرفعة وعلو الشأن عند الله وعند خلقه. وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن آثار عدم تعظيم الله تعالىٰ «أن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقارًا ولا هيبة، بل يسقط وقاره وهيبته في قلوبهم، وإن وقروه مخافة شره فذاك وقارُ بغض لا وقار حبٍّ وتعظيم»[٣].

خامسًا: الدلالة على الإيمان وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر:

بعد أن فسر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كلام الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ حول تعظيم الله تعالىٰ وبين أن أول مراتب تعظيم الله تعظيم أمره واجتناب نهيه قال: «ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق، وصحة العقيدة، والبراءة من النفاق الأكبر»[٤].

سادسًا: تعظيم الله يولد الحياء:

ذكر الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ: «الحياء: من أول مدارج أهل الخصوص، يتولد من تعظيم منوط بود»[٥]، وقال ابن القيم شارحًا قوله: «إنه يتولد من تعظيم منوط بود»: «يعني: أن الحياء حالة حاصلة من امتزاج التعظيم بالمودة، فإذا اقترنا تولَّد بينهما الحياء»[٦].

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص: ١٧١، ١٧٢).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص ١٧٢).

(٣) الفوائد، لابن القيم (ص: ١٨٧، ١٨٨).

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (ص: ١٠).

(٥) منازل السائرين، للهروي (ص: ٥٤).

(٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ٣/ ٢٠٩٢.

فجعل امتزاج التعظيم بالمودة والحب سببًا للتحلي بخلق الحياء، الذي هو من أهم الأخلاق التي يجب علىٰ المسلم التحلي بها، فالحياء والإيمان مقرونان.

وقال أيضًا: «وههنا لطيفة يجب التنبه لها، وهىٰ أن المحبة المجردة لا توجب هذا الأثر ما لم تقترن بإجلال المحبوب وتعظيمه، فإذا قارنها بالإجلال والتعظيم أوجبت هذا الحياءَ والطاعة، ... فما عمَّر القلبَ شيءٌ كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعظيمه، وتلك من أفضل مواهب الله لعبده أو أفضلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاءُ»[(١)].

ثالثًا: تعظيم مقام العبودية لله وإجلالها:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ ممّا يثمر سكينة الوقار التي دعا الله تعالىٰ عباده إليها بقوله تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد] تحقيق للعبد أشياء منها: «تعظيم الخدمة وإجلالها، وذلك تبع لتعظيم المعبود وإجلاله ووقاره، فعلىٰ قدر تعظيمه في قلب العبد وإجلاله ووقاره= يكون تعظيمه لخدمته، وإجلاله ورعايته لها»[(٢)].

وهذا يعني أنَّ من ثمار التعظيم: أن يُعَظِّم العبدُ مقامَ العبودية، فيفتخر أنه عبدٌ لله تعالىٰ، «فالعبودية لله عزٌّ وشرفٌ يأخذ بها العبد خيرَ سيِّدِه، وقال الشاعر:

ومـمَّـا زادنِـي شـــرفًـا وعِـزًّا وكِـدْتُ بـأَخْمَصـــي أطـأُ الثُّريَّـا

دُخُوليَ تحـتَ قولِـكَ يـا عبـادي وأن صـــيَّـرْتَ أحـمـدَ لـي نـبـيًّـا

أما عبودية البشر للبشر فنقص ومذلة وهوان، حيث يأخذ السيد خير عبده، ويحرمه ثمرةَ كَدِّه»[(٣)].

رابعًا: تعظيم الله يولد الحمية لله والغضب عند انتهاك محارمه:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مفرِّقًا بين الحمية لله تعالىٰ والحمية للنفس، وأن الحمية لله من ثمار تعظيم الأمر والآمر سبحانه وتعالىٰ: «وكذلك الحمية للّه والحمية للنفس، فالأولىٰ يثيرها

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ص: ٢٧١، ٢٧٢).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٤/ ٢٧٤١، ٢٧٤٢).

(٣) تفسير الشعراوي (١٣/ ٨٣١٥).

تعظيم الأمر والآمر، والثانية يثيرها تعظيم النفس والغضب لفوات حظوظها، فالحمية للّه أن يحمي قلبه له من تعظيم حقوقه، وهي حال عبد قد أشرق علىٰ قلبه نور سلطان اللّه فامتلأ قلبه بذلك النور فإذا غضب فإنما يغضب من أجل نور ذلك السلطان الذي ألقىٰ علىٰ قلبه ... فإنما هما حرارتان تظهران علىٰ الأركان حرارة من قبل النفس المطمئنة أثارها تعظيم حق اللّه، وحرارة من قبل النفس الأمّارة أثارها استشعار فوت الحظ»[١].

وقال أيضًا مؤكِّدًا علىٰ هذا بقوله: «فإنّ النّاصح اللّه المُعَظِّم له والمُحِبَّ له يحبُّ أن يطاع ربُّه فلا يُعصىٰ، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدِّين كلّه للّه، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه»[٢].

ثامنًا: حياة القلب واستقامته:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن من آثار رسوخ تعظيم الله تعالىٰ حياة القلب، قال شارحًا قول الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله: وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار»[٣]، يعني: أنه ينضاف إلىٰ نور البصيرة وطيب حياة العقل: حياة القلب بحسن النّظر الدّائر بين تعظيم الخالق جَلَّ جَلَالُهُ، وحسن الاعتبار بمصنوعاته الدّالّة عليه»[٤].

ومن الآثار أيضًا ما ذكر ابن القيم أن استقامة القلب بشيئين: أحدهما: أن تكون محبة الله تعالىٰ تتقدم عنده علىٰ جميع المحابّ. (الأمر الثاني) الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهىٰ، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالىٰ ذمَّ من لا يعظم أمره ونهيه[٥]. فتبين أنّ تعظيم الله تعالىٰ يثمر استقامة القلب.

عاشرًا: دوام السير إلى الله تعالى والثبات على دينه:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ موضحًا أثر التعظيم والإجلال، وأنهما يعينان علىٰ طاعة الله والثبات حتىٰ الممات: «فإن الله يعصم عبده بالخوف تارة، والمحبة والإجلال تارة، وعصمة الإجلال

---

(١) الروح، لابن القيم (ص: ٢٣٤).

(٢) الروح، لابن القيم (ص: ٢٢٥).

(٣) منازل السائرين، للهروي (ص: ١٢٦).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٥/ ٣٦٣٧).

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (ص: ٨).

والمحبة أعظم من عصمة الخوف؛ لأن الخوف يتعلق بعقابه، والمحبة والإجلال يتعلقان بذاته، وما يستحقه تبارك وتعالىٰ، فأين أحدهما من الآخر ولهذا كان دين الحب أثبت وأرسخ من دين الخوف وأمكن وأعظم تأثيرًا»[١].

ولما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ درجات المراقبة نقل عن الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «المراقبة: دوام ملاحظة المقصود. وهي علىٰ ثلاث درجات. الدرجة الأولىٰ: مراقبة الحق تعالىٰ في السير إليه علىٰ الدوام، بين تعظيم مذهل، ومداناة حاملة، وسرور باعث»[٢].

ثم فسَّر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ السُّرور الباعث بقوله: «وأمّا السّرور الباعث فهو الفرحة والتعظيم، واللذة التي يجدها في تلك المداناة، فإنّ سرورَ القلب بالله وفرحه به، وقرة العين به= لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا ألبتة، وليس له نظير يقاس به، وهو حال من أحوال أهل الجنة؛ حتىٰ قال بعض العارفين: إنّه لتمرّ بي أوقاتٌ أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا؛ إنّهم لفي عيش طيب. ولا ريب أن هذا السّرور يبعثه علىٰ دوام السّير إلىٰ الله»[٣].

فذكر أنَّ السُّرور ناشئٌ عن تعظيم الله تعالىٰ ومراقبته، وأنّه يحمل المرء علىٰ دوام السَّير إلىٰ الله لما يجده من لذَّة وسرور لا يعرفهما إلَّا من ذاق طعم الإيمان.

وبهذا يتحصَّل المُعَظِّم لربِّه علىٰ خيري الدُّنيا والآخرة، فحريٌّ بنا تفقد قلوبنا وتخليصها من سوىٰ الله تعالىٰ، حتىٰ نحظىٰ بهذه الآثار والثِّمار التي يجنيها من تمكَّن تعظيمُ الله تعالىٰ في قلبه، واستشعر عظمةَ ربِّه تعالىٰ.

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ٥٤).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١٤٩٣).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١٤٩٥).

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث، يطيب لي أن أذكر أبرز نتائجه، وذلك كما يأتي:

١- إن جمع أقوال ابن القيم بهذه الطريقة، يعطي فكرة متكاملة عن مفهوم التعظيم عند ابن القيم، ويبرز دوره في تعميق تعظيم الله تعالىٰ.

٢- مفهوم التعظيم عند ابن القيم يرتبط بعدة مفاهيم، فالتعظيم عنده هو معرفة الله والتذلل له، وهو امتلاء القلب بتعظيم الله بحيث يذهل عن تعظيم كل من سواه، والتعظيم عنده أيضًا لا ينفك عن محبة الله.

٣- ذكر ابن القيم بعض الصور التي تتنافىٰ مع تعظيم الله، كذكر الله مع ما يُتنزه عن ذكره، وكالخوف والمحبة والتعظيم والإجلال لغير الله، وكطاعة المخلوق في أمره ونهيه كطاعة الله أو أكثر، وغيرها.

٤- لتعظيم الله عند ابن القيم درجات، أولها تعظيم الأمر والنهي، وثانيها تعظيم الحكم الكوني القدري، وثالثها تعظيم الحق سبحانه، وكل درجة من الدرجات ينضوي تحتها مراتب.

٥- هناك بعض العلامات الدالة علىٰ تعظيم الله، ذكرها ابن القيم متناثرة، منها: المسارعة في فعل الخيرات، وتعظيم الله في الخلوات، الحرص علىٰ البعد عن المنهيات، والغضب عند انتهاك الحرمات، وعدم الاسترسال في الرخص، والحلف والنذر لله، وغيرها من العلامات التي تدل علىٰ تعظيم الله.

٦- كما أن هناك بعض الوسائل التي تعين علىٰ تعظيم الله جمعتها من أقوال ابن القيم، منها: توحيد الله وعدم الشرك به، وهو أهم وسيلة عند ابن القيم، وله في ذلك أقوال كثيرة، ومنها: البعد عن المعاصي واجتنابها، ومنها الصلاة بخشوع وسكينة، ومنها: التسليم التام لشرع الله، ومنها: تدبر معاني أسماء الله الحسنىٰ، ومنها: مراقبة الله والقرب منه، ومنها: التأمل في مخلوقات الله، ومنها: الإكثار من قول: (يا ذا الجلال والإكرام)، وغيرها من الوسائل.

٧- يترتب علىٰ تعظيم الله عند ابن القيم بعض الآثار، التي من شأنها أن يسعد الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، وأبرزها: عدم التجرؤ علىٰ محارم الله، وصلاح الأمور الدنيوية والأخروية، والرفعة وعلو الشأن، والمهابة في قلوب الناس، والوصول إلىٰ درجة الإحسان، وتعظيم مقام العبودية، ويورث الحياء والحمية، وحياة القلب واستقامته، والثبات علىٰ الطاعة، وغيرها.

وختامًا:

يوصي البحثُ بالاهتمام بأعمال القلوب بحثًا ودراسة، لما لها من أهمية في صلاح الفرد، واستقامته، وثباته علىٰ الحقّ، خصوصًا في زمن الفتن، ولما فيها من صلاح المجتمع، وحلّ مشكلاته.

كما يوصي البحثُ بالاهتمام بجهود العلماء الربانيين في هذا المجال، وعمل المؤتمرات والندوات العلمية من أجل تعزيز مثل هذه الأخلاق، وتجسيدها في واقع الناس، حتىٰ ينعم الجميع بالخير، وتعم السعادة.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١- مُصْحَف المدينة النبوية وَفْقَ رواية حفص عن عاصم، طبع فيمُجَمَّع الملك فهد لطباعةالـمُصْحَف الشريف بالـمَدِينَة المنورة، سنة ١٤٠٧هـ.

٢- أسرار الصلاة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعدشمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: أبي عبيدة الوليد بن محمد بن سلامة، دار المسلم، ط١، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

٣- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، در المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

٤- الأمثال في القرآن: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، ١٩٨١م.

٥- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان. (بدون طبعة، وتاريخ).

٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩=١٩٧٩هـ.

٨- تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد»: د. أحمد بن عثمان المزيد، دار الوطن، ط١، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.

٩- تفسير الشعراوي: محمد الشعرواي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩١م.

١٠- رفع اليدين في الصلاة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: علي محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٣١هـ.

١١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أبوالفضل أحمد بن علي بن حجرالعسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.

١٢- الروح: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

١٣- السنن: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني(٢٠٩-٢٧٣هـ)، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.
١٤- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: محمد السيد أبو فراس النعساني، مكتبة الرياض الحديثة، ط١، ١٣٢٣هـ.
١٥- الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي: أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي(٢٠٩-٢٩٧هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط٢، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.
١٦- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام علىٰ محمد خير الأنام: م محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.
١٧- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواءالشافي (الداء و الدواء): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، (بدون طبعة، وتاريخ).
١٨- الصلاة وأحكام تاركها: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر.
١٩- الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض.
٢٠- طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، عني بتصحيحه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ.
٢١- الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، مكتبة الرياض الحديثة، (بدون طبعة وتاريخ).
٢٢- كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السَّامَرَّائِيّ.
٢٣- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٦٣٠-٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٤- مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، اختصار محمد بن الموصلي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي، مكتبة أضواء السلف.

٢٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق د. ناصر بن سليمان السعوي وآخرين، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.

٢٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤هـ - ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

٢٧- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد.

٢٨- مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرَّازِيّ، (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

٢٩- المنار المنيف في الصحيح والضعيف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٣٩٠=١٩٧٠م.

٣٠- منازل السائرين: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (٣٩٦- ٤٨١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ =١٩٨٨م.

٣١- الوابل الصيب من الكلم الطيب: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ.

فهرس المحتويات

المقدمة	٢
المطلب الأول: مفهوم تعظيم الله عند ابن القيم	٥
المحبة لا تنفك عن التعظيم	٦
تعظيم الرسول تعظيم لله ومحبته محبة لله	٧
بعض الصور التي تتنافي مع تعظيم الله عند ابن القيم	٧
درجات التعظيم عند ابن القيم	٨
الدرجة الأولىٰ: تعظيم الأمروالنهي	٨
الدرجة الثانية: تعظيمال حكم الكوني القدري	٩
الدرجة الثالثة: تعظيم الحق سبحانه	١٠
المطلب الثاني: علامات تعظيم الله عند ابن القيم	١١
العلامة الأولىٰ: المسارعة في فعل الأوامر وفعلها علىٰ الشكل المطلوب	١١
العلامة الثانية: تعظيم الله في الخلوات	١١
العلامة الثالثة: الحرص علىٰ البعد عن المنهيات	١٢
العلامة الرابعة: الغضب إذا انتهكت محارم الله	١٢
العلامة الخامسة: أن لايحمل الأمرعلىٰ علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله	١٢
العلامة السادسة: عدم الاسترسال مع الرخص	١٣
العلامة السابعة: عدم تعظيم ما ليس من شعائرهذا الدين	١٣
العلامة الثامنة: الحلف والنذرلله وحده	١٤
المطلب الثالث: وسائل تعظيما لله عند ابن القيم	١٥
الوسيلةالأولىٰ: التوحيد من أهم الوسائل التي ترسخ تعظيم الله في القلوب	١٥

الوسيلة الثانية: البعد عن المعاصي التي تضعف تعظيما لله ١٦
الوسيلة الثالثة: الصلاة ١٧
الوسيلة الرابعة: التسليم التام لشرع الله،وتعظيم الأوامروالنواهي ١٨
الوسيلة الخامسة: قول سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه ١٩
الوسيلة السادسة: تدبر معاني أسماءالله الحسنىٰ ١٩
الوسيلة السابعة: الخشوع إشراق نورالتعظيم ٢٠
الوسيلة الثامنة: مراقبة الله والقرب منه ٢٠
الوسيلة التاسعة: التأمل في مخلوقات الله الدالة علىٰ عظمته ٢٠
الوسيلة العاشرة: الإكثارمن قول (ياذا الجلال والإكرام) ٢١
المطلب الرابع: الآثار المترتبة علىٰ تعظيم الله عند ابن القيم ٢٢
أولًا: عدم التجرؤ علىٰ محارم الله ٢٢
ثانيًا: صلاح الأمور الدنيوية والأخروية ٢٣
ثالثًا: الوصول إلىٰ درجة الإحسان ٢٣
رابعًا: الرفعة بين الناس وعلو الشأن، والمحبة والمهابة ٢٤
خامسًا: الدلالة علىٰ الإيمان وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر ٢٤
سادسًا: تعظيم الله يولد الحياء ٢٤
سابعًا: تعظيم مقام العبودية لله وإجلالها ٢٥
ثامنًا: تعظيم الله يولد الحمية لله والغضب عند انتهاك محارمه ٢٥
تاسعًا: حياة القلب واستقامته ٢٦
عاشرًا: دوام السير إلىٰ الله والثبات علىٰ دينه ٢٦
الخاتمة ٢٧

فهرس المصادر والمراجع ٢٨

فهرس المحتويات ٣٣